

لطائف المعارف

المجلس الثاني في نصف شعبان .

خرج الإمام أحمد و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و ابن حبان في صحيحه و الحاكم [من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى رمضان] و صححه الترمذي و غيره و اختلف العلماء في صحة هذا الحديث ثم في العمل به : فأما تصحيحه فصحه غير واحد منهم الترمذي و ابن حبان و الحاكم و الطحاوي و ابن عبد البر و تكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء و أعلم و قالوا : هو حديث منكر منهم الرحمن بن المهدي و الإمام أحمد و أبو زرعة الرازي و الأثرم و قال الإمام أحمد : لم يرو العلاء حديثاً أنكر منه و رده بحديث : [لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين] فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين و قال الأثرم الأحاديث كلها تخالفه يشير كلها تخالفه يشير إلى أحاديث صيام النبي صلى الله عليه و سلم شعبان كله و وصله برمضان و نهيه عن التقدم على رمضان بيومين فصار الحديث حينئذ شاذاً مخالفاً للأحاديث الصحيحة و قال الطحاوي هو منسوخ و حكى الإجماع على ترك العمل به و أكثر العلماء على أنه لا يعمل به و قد أخذ آخرون منهم الشافعي و أصحابه و نهو عن ابتداء التطوع بالصيام بعد نصف شعبان لمن ليس له عادة و وافقهم بعض المتأخرين من أصحابنا ثم اختلفوا في علة النهي فمنهم من قال : خشية أن يزداد في شهر رمضان ما ليس منه و هذا بعيد جداً فيما بعد النصف و إنما يحتمل هذا في التقديم بيوم أو يومين و منهم من قال : النهي للتقوى على صيام رمضان شفقة أن يضعفه ذلك عن صيام رمضان و روي ذلك عن وكيع و يرد هذا صيام النبي صلى الله عليه و سلم شعبان كله أو أكثره و وصله برمضان هذا كله بالصيام بعد نصف شعبان .

و أما صيام يوم النصف منه فغير منهي عنه فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها من كل شهر و قد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه ففي سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف [عن علي عن النبي صلى الله عليه و سلم : إذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها و صوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا كذا حتى يطلع الفجر] و في فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة و قد اختلف فيها فضعفها الأكثرون و صحح ابن حبان بعضها و خرج في صحيحه و من أمثلها [حديث عائشة قال : فقدت النبي صلى الله عليه و سلم فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعا رأسه إلى السماء فقال : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك و رسوله فقلت يا رسول الله طننت أنك أتيت بعض نساءك فقال : إن الله تبارك و تعالى ينزل ليلة النصف

من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب [خرج الإمام أحمد و الترمذي الإمام أحمد ابن ماجه و ذكر الترمذي عن البخاري أنه ضعفه و خرج ابن ماجه من حديث [أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن] و خرج الإمام أحمد من [حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن الله ليطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن أو قاتل نفس] و خرج ابن حبان في صحيحه من حديث معاذ مرفوعا .

و يروى من حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعا : [إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد : هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد شيئا إلا أعطيه إلا زانية بفرجها أو مشركا] و في الباب أحاديث أخر فيها ضعف و يروى عن نوف البكالي أن عليا خرج ليلة النصف من شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر إلى السماء فقال : إن داود عليه السلام خرج ذات ليلة في مثل هذه الساعة فنظر إلى السماء فقال إن هذه الساعة ما دعى الله أحد إلا أجابه و لا استغفره أحد من هذه الليلة إلا غفر له ما لم يكن عشارا أو ساحرا أو شاعرا أو كاهنا أو عريفا أو شرطيا أو جابيا أو صاحب كوبة أو غرطبة قال نوف : الكوبة الطبل و الغرطبة : الطنبور اللهم رب داود اغفر لمن دعاك في هذه الليلة و لمن استغفرك فيها و ليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان و لقمان بن عامر و غيرهم يعظمونها و يجتهدون فيها في العبادة و عنهم أخذ الناس فضلها و تعظيمها و قد قيل أنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك فمنهم من قبله منهم و وافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة و غيرهم و أنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء و ابن أبي مليكة و نقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة و هو قول أصحاب مالك و غيرهم و قالوا : ذلك كله بدعة .

و اختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين : أحدهما : أنه يستحب إحيائها جماعة في المساجد كان خالد بن معدان و لقمان بن عامر و غيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم و يتبخرون و يكتحلون و يقومون في المسجد ليلتهم تلك و وافقهم إسحاق بن راهوية على ذلك و قال في قيامها في المساجد جماعة : ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرمانى في مسائله و الثاني : أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة و القصص و الدعاء و لا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه و هذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام و فقيههم و عالمهم و هذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى و قد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله إلى البصرة عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغا أول ليلة من رجب و ليلة النصف من شعبان و ليلة الفطر و ليلة الأضحى و في صحته عنه نظر و قال الشافعي رحمه الله : بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال : ليلة الجمعة و العيدين و أول رجب و نصف شعبان قال : و

أستحب كل ما حكيت في هذه الليالي و لا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان و يخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه و استحبابها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود و هو من التابعين فكذاك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه و سلم و لا عن أصحابه و ثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام و روي عن كعب قال : إن الله تعالى يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام إلى الجنة فيأمرها أن تتزين و يقول : إن الله تعالى قد اعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء و عدد أيام الدنيا و لياليها و عدد ورق الشجر وزنة الجبال و عدد الرمال و روى سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر عن أبي حازم و محمد بن قيس عن عطاء بن يسار قال : ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك و تعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم فيا من أعتق فيها من النار هنيئا لك المنحة الجسيمة و يا أيها المردود فيها جبر الله مصيبتك هذه فإنها مصيبة عظيمة .

(بكيت على نفسي و حق لي البكا ... و ما أنا من تضييع في شك) .

(لئن قلت أني في صنيعي محسن ... فإنني في قولي لذلك ذو إفك) .

(ليالي شعبان و ليلة نصفه ... بأية حال قد تنزل لي صكي) .

(و حق لعمري أن أديم تضرعي ... لعل إله الخلق يسمح بالفك) .

فينبغي للمؤمن أن يتفرغ في تلك الليلة لذكر الله تعالى و دعائه بغفران الذنوب و ستر العيوب و تفرج الكرب و أن يقدم على ذلك التوبة فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب .

(فقم ليلة النصف الشريف مصليا ... فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه) .

(فكم من فتى قد بات في النصف آمنا ... و قد نسخت فيه صحيفة حتفه) .

(فبادر بفعل الخير قبل انقضاءه ... و حاذر هجوم الموت فيه بصرفه) .

(و صم يومها ... و أحسن رجاءه ... لتطفر عند الكرب منه بلطفه) .

و يتعين على المسلم أن يجتنب الذنوب التي تمنع من المغفرة و قبول الدعاء في تلك الليلة و قد روي : أنها : الشرك و قتل النفس و الزنا و هذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله كما في [حديث ابن مسعود المتفق على صحته أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلم : أي الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل ندا و هو خلقك قال : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حيلة جارك] فأنزل الله تعالى ذلك : { و الذين لا يدعون مع الله إلها آخر و لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا يزنون } الآية و من الذنوب المانعة من المغفرة أيضا الشحناء و هي حقد المسلم على أخيه بغضا له لهوى نفسه و

ذلك يمنع أيضا من المغفرة في أكثر أوقات المغفرة و الرحمة كما في صحيح مسلم [عن أبي هريرة B مرفوعا : تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين و الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه و بين أخيه شحنة فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا] و قد فسر الأوزاعي هذه الشحنة المانعة بالذي في قلبه شحنة لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و لا ريب أن هذه الشحنة أعظم جرما من مشاحنة الأقران بعضهم بعضا و عن الأوزاعي أنه قال المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة و كذا قال ابن ثوبان : المشاحن هو التارك لسنة النبي صلى الله عليه و سلم الطاعن على أمته السافك دماءهم و هذا الشحنة أعني شحنة البدعة توجب الطعن على جماعة المسلمين و استحلال دمائهم و أموالهم و أعراضهم كبعد الخوارج و الروافض و نحوهم .

فأفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحنة كلها و أفضلها السلامة من شحنة أهل الأهواء و البدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة و بعضهم و الحقد عليهم و اعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم و تضليلهم ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحنة لعموم المسلمين و إرادة الخير لهم و نصيحتهم و أن يحب لهم ما يحب لنفسه و قد وصف الله تعالى المؤمنين عموما بأنهم يقولون : { ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم } و في المسند [عن أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه : ثلاثة أيام يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فيطلع رجل واحد فاستضافه عبد الله بن عمرو فنام عنده ثلاثا لينظر عمله فلم ير له في بيته كبير عمل فأخبره بالحال فقال له هو ما ترى إلا أنني أبيت و ليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين فقال عبد الله : بهذا بلغ ما بلغ [و في سنن ابن ماجه] عن عبد الله بن عمرو قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : مخموم القلب صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقي الذي لا إثم فيه و لا بغي و لا غل و لا حسد [قال بعض السلف : أفضل الأعمال سلامة الصدور و سخاوة النفوس و النصحة للأمة و بهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الإجهاد في الصوم و الصلاة إخواني اجتنبوا الذنوب التي تحرم العبد مغفرة مولاه الغفار في مواسم الرحمة و التوبة و الإستغفار أما الشرك : { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار و ما للظالمين من أنصار } و أما القتل فلو اجتمع أهل السموات و أهل الأرض على قتل رجل مسلم بغير حق لأكبهم الله جميعا في النار و أما الزنا فحذار حذار من التعرض لسخط الجبار الخلق كلهم عبيد الله و إماءه و الله يغار لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته فمن أجل ذلك حرم الفواحش و أمر بغض الأبصار و أما الشحنة فيا من أضمر لأخيه سوء و قصد له الإضرار : { لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار } .

يكفيك حرمان المغفرة في أوقات مغفرة الأوزار .

- (خاب عبد بارز المو ... لى بأسباب المعاصي) .
- (ويحه مما جناه ... لم يخف يوم القصاص) .
- (يوم فيه ترعد الأقد ... ام من شيب النواصي) .
- (لي ذنوب في ازدياد ... و حياة في انتقاص) .
- (فمتى أعمل ما أعلم ... لي فيه خلاصي) .

و قد روي عن عكرمة و غيره من المفسرين في قوله تعالى : { فيها يفرق كل أمر حكيم } أنها ليلة النصف من شعبان و الجمهور على أنها ليلة القدر و هو الصحيح و قال عطاء بن يسار : إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال : اقبط من في هذه الصحيفة فإن العبد ليغرس الغراس و ينكح الأزواج و يبني البنيان و أن اسمه قد نسخ في الموتى ما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه يا مغرورا بطول الأمل يا مسرورا بسوء العمل كن من الموت على وجل فما تدري متى يهجم الأجل .

(كل امرء مصبح في أهله ... و الموت أدنى من شراك نعله) .

قال بعض السلف : كم من مستقبل يوما لا يستكمله و من مؤمل غدا لا يدركه إنكم لو رأيتم الأجل و مسيره لأبغضتم الأمل و غروره .

- (أوئل أن أخلد و المنايا ... تدور علي من كل النواحي) .
- (و ما أدري و إن أمسيت يوما ... لعلي لا أعيش إلى الصباح) .
- (كم ممن راح في طلب الدنيا أو غدا أصبح من سكان القبور غدا) .
- (كأنك بالمضي إلى سبيلك ... و قد جد المجهز في رحيلك) .
- (و جيء بغاسل فاستعجلوه ... بقولهم له أفرغ من غسيلك) .
- (و لم تحمل سوى كفن و قطن ... إليهم من كثيرك أو قليلك) .
- (و قد مد الرجال إليك نعشا ... فأنت عليه ممدود بطولك) .
- (وصلوا ثم إنهم تداعوا ... لحملك من بكورك أو أصيلك) .
- (فلما أسلموك نزلت قبرا ... و من لك بالسلامة في نزولك) .
- (أعانك يوم تدخله رحيم ... رؤوف بالعباد على دخولك) .
- (فسوف تجاور الموتى طويلا ... فذرني من قصيرك أو طويلك) .
- (أخي لقد نصحتك فاسمع لي ... و باء استعنت على قبولك) .
- (أأست ترى المنايا كل حين ... تصيبك في أخيك و في خليلك)